قصائد من الكويت

علي السبتي

الصدى والصمت

من خلال سياجِ الحديقةِ، صوتُكِ جاءْ.
فجَّرَ الهمَّ، والهمُّ فيَّ يُفجَّرُ حين يجيءُ المساءْ.
كنتُ وحدي، أقرأ في صُحُفِ الأغْنِياءْ:
سارةٌ غادرتْ بيتَها ولها طفلتانْ،
وفؤادٌ تزوَّجَ ثانيةً ولها طفلتانْ،
وحميدٌ يَظَلُّ إلى الصُبْحِ في المزرعهْ
ويترُكُ أطفالَهُ الأربعهْ
لخادمةٍ لم تنلْ أجرَها من زمانْ.

❖ ❖ ❖

من خلال المسجَّلِ صوتُكِ فَجَّرَ فيَّ هموم المساءْ
كنتُ أقرأ في صُحُفِ الأغنياءْ
وأبحثُ في داخلي ما الذي قد بقي حينَ
يأتي الشتاءْ.

❖ ❖ ❖

كنتُ حين يجيءُ الربيعْ
نَنْشُرُ العِطرَ في كُلِّ بيتٍ؛ أنا والربيعْ.
وإذا ضاعَ كُلُّ الذين هُنا فأنا لا أضيعْ.
ما الذي غَيَّرَ الدَّمَ فيَّ، فصِرتُ كبعضِ القطيعْ؟
أتُراكِ السببْ،
أم فؤادي الذي قد تعبْ؟
لم يَعُدْ يحملُ الهَمَّ حين يجيءُ المساءْ
فألوذُ بما خَلَّفَ الأغنياءْ
عساي ألاقي العزاءْ
بالذي خَلَّفَ الأغنياءْ.

❖ ❖ ❖

كنتُ أسمعُ صوتَكِ خلفَ السياجِ نداءَ اشتهاءْ.
غيرَ أني ما عادَ عندي الذي تبتغينْ.
فأنتِ كبعضِ النساءْ
وأنا رُغمَ كُلِّ الطُموحِ بَقيتُ مع الفقراءْ.

❖ ❖ ❖

أعرِفُ مِنْ خلالِ الكُتُبِ التي قَرَأْتْ
ومِنْ خِلالِ الأعينِ التي خلالها نَظَرتْ
ومِنْ خِلالِ المُدنِ التي في قاعِها هاجَرْتْ
بأن لا شيءَ يدومُ ها هُنا
إلاَّ الصدى والصمتْ.

❖ ❖ ❖

فوقَ كُلِّ السُطوحِ يصيحُ الصدى*:
«ها هُنا كُلُّ يومٍ قتيلْ،
رُغمَ هذي المظاهر
في كُلِّ بيتٍ قتيلْ».
ويصيحُ الصدى
«وما مِنْ مُقيلْ» □.

* - الصدى، حسب المعتقدات الجاهليّة، طائرٌ يظل يصيح حتى يؤخذ بثأر القتيل.